obeikan.com

امرأة

ما بين الإنسانية وعبودية الخبز

امرأة ما بين الإنسانية وعبودية الخبز

رواية

نيفين سرور

الطبعة الأولى

دار الحلم للنشر والتوزيع

٤ شارع الأشراف - من شارع مؤسسة الزكاة - المرج - القاهرة

موبايل :٠١١٤١٨٢٤٥٦٢

dar_el7elm@hotmail.com

المدير العام : د.إسلام فتحى

إخراج داخلي : الحلم للدعاية والإعلان

رقم الإيداع :٢٠١٦/٢٥٦٣٩

رقم الترقيم الدولي :978-977-798-051-7

إن دار الحلم للنشر والتوزيع، غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وتعبر الآراء الواردة في هذا الكتاب عن آراء المؤلف، ولا تعبر بالضرورة عن آراء الدار .

obeikan.com

نيفين سرور

امرأة

ما بين الإنسانية وعبودية الخبز

obeikan.com

obeikan.com

إهداء

إلى هذه النفس التى استيقظت من كبوتها فلم ترضى بالاستعباد والذل .. حطمت قيودها من أجل كرامتها وإنسانيتها أبت أن تسير على خطى العبيد ،راحت تفتح نافذتها لكل آمالها وأحلامها صممت لنفسها طريقا مغايرا لما اعتاد عليه أمثالها ،لقد علمت أن لكل شيء ثمن ...فما أغلى ثمن الانسانية

والكرامة ...أبت إلا أن تكتب قصة يقظتها لربما تكون يوما نبراسا لغيرها يهتدى بطريقها إلى كل امرأة مازالت مقيدة بسلاسل عبودية الخبز أهديتك هذه القصة القصيرة، وعن قصد أردت أن تكون قصيرة حتى لا أرهقك سيدتى بأحداث شتى لن تفيدك، بل اقتصرت بقدر ما استطعت على ذكر أهم ماحدث لى حتى أن انتبهت نفسى واستيقظت من سباتها الطويل، فهل تسمحى لى عزيزتى أن أشاركك فى جلستك من خلال هذه الصفحات القادمة.

نیفین سرور

obeikan.com

مقدمة

فى حيرة يخالطها الحزن ظلت تنظر إلى كل هذه السلاسل الملفوفة حولها تسأل .... ما كل هذه القيود التى تحيط بى ؟؟ أطالت النظر والإلتفات يمينا ويسارا فوجدت كثيرات مثلها يجلسن مقيدات، سألت إحداهن : لماذا يقيدوننا ؟؟ قالت لها : لا أعلم ،هكذا وجدت نفسى مثلك. سألتها مرة أخرى، وهل حاولت فك هذه القيود؟. ردت : لم أفكر يوما فى فكها، وحتى لو حاولت إلى أين سأذهب؟ وردت عليها امرأة عن يمينها : ولماذا نفكر فى فك قيودنا تلك، وجميع مانطلبه ملبّي لنا من ملبس ومسكن وطعام شرط ألا نفك القيود ؟، رمقتها المرأة السائلة لبرهة من الوقت، ثم راحت تقول : وأين ذاتى بل وأين إنسانيتى التى كرمنى بها ربى ؟ ما قيمة أن أطعم جسدى وأريحه، وروحى بداخلى تصرخ وهى تأبى عبودية الخبز والمال ؟ وفى شجاعة وجرأة راحت تحطم سلاسلها وقيودها وهى فى غاية السعادة، وفى صراخ يحيط بها من كل من حولها

يقلن لها : هل جننت ستموتين جوعا وعطشا، عودى إلى قيودك مسرعة ولفى بها نفسك، قبل أن يراك أحد، قالت لهن بعد أن فكت قيودها وهى تبكى فرحا ربما أموت جوعا وعطشا ولكنى سأموت إنسانة...

obeikan.com

مثل أى فتاة أرادت أن ترتدى هذا الفستان الأبيض فهو حُلم لكل بنت فى مثل عمرها، ولكنه كان أغلى من بقية الفساتين ،لقد نسجت خيوطه من أفراحها المؤجلة وأحلامها التى عطلتها وكل طموحات حياتها من أجل هذا» الفارس الهمام « .لقد كان عمرها يناهز السابعة والعشرون ،وطبقا لأعراف المجتمع الشرقى لابد أن تختار زوجا لها «أى زوج» قبل أن يمر قطار الزواج راحلا تاركا لها على رصيف العنوسة .لذا لم يعد لديها الوقت الكافى لتستوفى كل شروطها ومواصفاتها التى كانت تحلم بها فى زوجها ....دعونى أحدثكم عن المواصفات التى كانت

obeikan.com

تحلم بها « أمل»، ولربما يتساءل أحد الأن ..وهل كان لها مواصفات فى فارس أحلامها ؟ أجل، وستوافيكم بها أمل الآن ....» كنت قد رسمت لنفسى لوحة جميلة بألوانى وأقلامى لزوج المستقبل ولكن للأسف لم أستوفيها ولو بعض منها، كنت أريد رجلا يعاملنى أنى ملكته ولست أمته، أن أكون إحدى مسؤلياته،ولست إحدى ممتلكاته، أن أكون وردة فى حديقة حياته يسقينى بحبه واهتمامه، فأعطيه أبهى منظر وأزكى رائحة ،فالورود كلما اهتم صاحبها برعايتها كلما استمتع بها ،لقد كنت على استعداد أن أهب روحى له إن احتاج إليها. كنت أتمنى أن تكون دموعى هى أغلى مافى حياته فما أن يراها حتى يحتضنني ويمسح على رأسى بحب وحنان فينسينى كل همومى وآلامى، أردته أبًا وأمًا و زوجا وحبيبا وصديقا وأخا، أردته عائلتى الجديدة، وأن أكون أنا أيضاعائلته الجديدة، أن أكون الصدر الذى يحنو إليه ويلقى عليه بهمومه وأحزانه، ولكن لم يمهلنى الوقت على الإطلاق أن أتأكد من هذه المشاعر والمواصفات التي كنت أتمناها، لقد أردت أن أسرع الركوب فى قطار الزواج، لكى يسعفنى كل من العمر والصحة لإنجاب الأطفال وتربيتهم قبل ان أكمل الثلاثين من عمرى. ولم يعلمنى

أحد أن الأهم من إنجاب الأطفال هو إختيار أبيهم وأن أحيطهم بجو أُسرى مناسب، و مرت الأيام وتزوجت، كم كانت فرحتى يوم زفافى تغمرنى أنا وكل من حولى، كنت أصرخ بفرحة لقد ارتديت أخيرا الفستان الأبيض مثل بقية صديقاتى اللاتى قد تزوجن قبلى، وكانت الزغاريد من حولى فى كل مكان ....وبدأت قصتى من هنا، لم يكن الموضوع بالهين فهو ليس فستانا ولا حفلة ولا شهر عسل، فالزواج أعمق من من كل هذه السطحيات والقشور، هو بناء إن لم أضع أسسه بدقة ونظام إنهار البناء على أصحابه، لقد مرت الايام الاولى كما يزعمون «شهر العسل»، ببساطة وسرور وزيارة الأهل والأقارب لتهنئتى، ولكن ها قد انتهى أسبوع العسل، ومرت الأيام وأنا منتظرة، أجل أنتظر هذا « الفارس الهمام» أنتظر أن أجده؟وهل الزواج ماهو إلا أسبوع أو شهر يسعدا الزوجان فيه أم هو حياة مستمرة، ومشاركة دائمة فى كل الأحداث من الطرفين، كنت أجلس أنتظره ياترى أين رحل وتركنى ؟ إلى أى مكان ابتعد عنى وهجر روحى؟، لقد رحل بروحه بعيدا عنى، أصبح يعيش معى جسدا بلا روح، لقد أصبح كالحاضر الغائب، كنت أنتظره كالوردة التى تتمنى أن يرويها صاحبها. فالوردة

ترتوى بالماء لتزدهر أما المرأة فترتوى بالمشاعر الدافئة و الإهتمام. المرأة تحتاج إلى من يحتضنها وقت ضعفها، ويحتويها لحظة غضبها، هى لا تحتاج إلى ضل الرجل كبديل عن ضل الحيطة، : ولقد بلغنى عن مجتمع غير رشيد أن امرأة كانت تتعالى صيحاتها تستغيث بهذا المجتمع كل بضع ليال من ظلم زوجها فإذا بالمجتمع يقول :ما أجمل صيحتك القوية، يالك من قوية، عذرا إستمرى فى طاعة سيدك لأجل مظهرك الإجتماعى وتربية أطفالك فتصمت يائسة وكلما صرخت بالمجتمع تستغيث رد عليها بنفس كلماته وذات مرة خارت قوتها تماما فلم تستطع أن تصرخ كما كانت من ذى قبل فما عادت المسكينة تقدر أن تعول أولادها فضلا عن أن تعول نفسها ،فسقطت هامدة على الأرض ،هنا فقط التفت المجتمع إليها حزينا باكيا وقال لها مكشرا عن أنيابه لابد أن آخذ حقك من هذا الوحش ورفع دعوى تقاضيه فيها بسبب الضرر فقالت له وهى تلتقط أنفاسها متعبة، بل ارفع أنت راية الحداد على عدالتك ومظهرك الإجتماعى البغيض، إرفع راية الحداد على كل ما يعادى الإنسانية، أما أمل فقد أهملها هذا الرجل إهمال لا أقول كاد أن يذبل

أوراقها النضرة، بل كاد أن يميتها لم يعد يهتم بها، حتى تلك اللحظات التى يقولون عنها أنها رومانسية لم تعد تشعر بها، كلما اقتربت منه لتحدثه لربما تستكشف سر إنزواءه عنها تجده يزداد بعدا وقسوة، فى أوقات الطعام كانت تحاول أن تخرج الكلمات منه لتتحاور معه، ولكنه كان دائم النظر والتركيز إلى التلفاز، كلما همّت أن تجذبه إلىها كما تفعل النساء، تجده ينشغل عنها باللاب توب أو التلفاز، فكانت محصلة كل جهدها الذى تقوم به لتجمع بين أرواحهما تضيع سدى تقول أمل: فى كثير من الليالى كنت أجلس على سريرى فى غرفتى فيستغرق تفكيرى الساعات الطوال. كنت أتسأل، ياترى إلى أين سافرت روح هذا الرجل وتركتنى، لماذا هذا الجفاء والإهمال، كنت أظل كذلك كل ليلة حتى يغلبنى النوم فلا أستطيع أن أقاومه. إزدادت الحواجز يوما بعد يوم؛ حتى بعدإنجاب طفلى، ظننت أن ذلك سيقرب المسافات ويذيب الحواجز، ولكن لم يحدث ذلك، بل كانت المعاملة تزداد قسوة ومهانة كل يوم، كما أن طول العشرة لابد وأن يُظهر جوهر كل إنسان فلا يستطيع إخفاؤه كثيرا، لقد كان يرى المرأة كالأنعام يطعمها سيدها ويسقيها فلا يرى لها قيمة ولا رأى (وكل

هذه الطباع لم تظهر قبل الزواج). يراها فقط أنها للمطبخ والتنظيف واستجابة طلباته الزوجية كلما أراد فى الوقت الذى يريد هو. كانت «أمل» بين الحين والاخر تجلس فى غرفتها لتسرح عبر خيالها متذكرة أول لطمة على وجهها ،كم كانت قاسية تلك اللحظة خصوصا أنه لم يكن هنالك مايستدعى للضرب والإهانة، لم تترك الضربة أى جرح على وجهها ولكن تركت جُرحا عميقا فى نفسها، فالوجع النفسى أشد من ذلك المادى. لقد كانت «أمل» تعيش غربة، وأشد أنواع الغربة هى غربة الروح، كانت تعيش معه فى نفس المنزل نفس المكان ولكن الأرواح غريبة. إننا قد نلتقى بأشخاص نجلس معهم ونتحدث إليهم بل ولربما نعيش معهم في نفس المكان ولكننا نشعر ناحيتهم بالتواصل الجسدى فقط، وكأنّنا آلات نتعامل معهم فقط ليسير قطار الحياة ولكننا لا نشعر معهم بالأنس النفسى فما أن ينتهى مجلسنا معهم أو أن نرحل عن مكانهم، إلا ونشعر بالسكون النفسى، لقد كنا نعيش معهم غربة شديدة هى غربة الروح، وما أقساها من غربة فأرواحنا بداخلنا تعيش معهم غربة لا توصف، فى حين أن هناك من لا تراهم أعيننا ولكن تأنس أرواحنا بهم و لم نتواصل

معهم بأجسادنا يقدرون على رسم إبتسامة على وجوهنا الحزينة لمجرد تذكرنا لصورهم أو لكلماتهم لنا، لا نشعر بالوحشة أبدا معهم على الرغم أننا لانراهم ولكن دون أن نشعر نجد أرواحنا ترحل إليهم بين الحين والاخر ،تواصلت الأرواح دون تواصل الأجساد، توافقت العقول والأفكار دون أن يتلاقى أصحابها، هؤلاء لا نفتقدهم لمجرد أننا لا نراهم، لقد سكنت إليهم النفوس ونفضوا عن أرواحنا غربتها، لا نفكر متى نلتقى بهم لأننا بالفعل إلتقينا فى عالم من أروع ما يكون وهو عالم الارواح .... كان يتركها وحدها كثيرا، ولا تدرى ما السبب ولكن لابد من المواجهة يوما لابد أن تواجهه لماذا هذا التغير الكبير فى حياتهما؟ هل الزواج هو الأيام القليلة الأولى الهادئة وفقط؟ بالفعل ذهبت إليه وهو فى عزلته أمام التلفاز وسألته: لماذا أعيش وحدى فى هذه الغربة وأنت معى ؟ لماذا تشتد على قسوة وتزداد لى إهمالا، إنى أنظر إلى نفسى فى المرآه فلا أعرف نفسى، بالأمس القريب نظرت إلى وجهى ما عدت أتعرّف على ملامحي، لقد كان يحمل كل مكان فى وجهى أوجاعى وهمومى، إن نظرت إلى وجهى ستجده يحدثك عن قسوتك وإهمالك... لم تستطع إكمال

الحديث معه لقد حبسَت عبراتها أمامه طويلا، والآن ها قد حان ميعاد تتابعها فراحت تبكى بعد أن خنقتها العبرات فلم تستطع كتمانها أكثر من ذلك. وتابعت كلامها .. ستحدثك هذه الشحوب والهالات السوداء حول عينى من كثرة البكاء، أما وجهى فإن ذبول نضارته سيحدثك عن غربة أعيشها ولا تدرى بها أنت، وكأنّى لا أعنيك فى شىء، أمسكت بيديه تتسول نظرة رحمة وشفقة منه وراحت تسأله ما الذى أغضبك بشأنى؟ ما الذى غيرك ناحيتى ؟ لماذا كنت تعاملنى فى البداية بهدوء وأدب ثم انقلبت على عقبيك ؟ لماذا .....؟ لماذا.....؟ كثرت أسئلتها منتظرة أى إجابة لترتاح هواجسها ويسكن قلبها ويهدأ عقلها من التفكير قليلا ..

ولكن الرجل لم يبالى قال فى سخرية لا شىء يضايقنى أنت من يضخم الأمور لماذا كل هذه الأسئلة ؟ لماذا كل هذا الإنزعاج ؟ أنت تأكلين وتشربين وتلبسين ماذا تريدين منى أكثر من ذلك ما الشىء الذى قصّرت فيه معك ... صدمتها كلماته السخيفة التى كانت لا تعبر إلا عن رجل لا يهتم إلا بما يهتم الراعى بأن يوفره لأغنامه فما كان منها إلا أن وقفت تستند على جدار الحائط الذى بجانبه بكلتا

يديها وهى منهكة، ثم رحلت عنه أمل وتركته بعد أن خاب رجاؤها واشتد يأسها.. وكالعادة ذهبت إلى غرفتها أما هو فلم يكترث بكلامها ولا بفيضان عبراتها الذى فاض فجأة دون سابق إنذار ومضى يكمل مشاهدته للتلفاز.... لقد بدأ البناء الأسرى يتصدع وفى طريقه أن تنهار أركانه.. فالنقاش الهادىء ومواجهة كل زوج الأخر بأخطاءه كل ذلك يحافظ على كيان البيت، والإهمال هو أول مسمار يتم دقه فى نعش الحياة الزوجية... جلست فى غرفتها والعبرات

تتساقط على وجهها حاولت كتم صوت الآمها ولكن لم تستطع، إنفجر صوت نحيبها لقد حاولت فى وضع كفيها على فمها حتى لا يسمع صوت بكاءها ولكن وما الفائدة حتى لو سمعه سيظل متابعا لسهراته الجميلة لبرامج وافلام التلفاز، ظلت تتساءل وهى تنظر لنفسها فى المرآه كانت تتحسس وجهها المهموم بيديها، لقد كانت كل آثار حياتها الزوجية واضحة فى تفاصيله وملامحه .. تساءلت .. ألهذا تزوجت؟ لماذا تركت نفسى تختار شخصا لمجرد الخوف من أن يفوتنى قطار الزواج، ليت هذا القطار تركنى و رحل حيث يشاء كيف سمحت لنفسى أن ألقى

بروحى وذاتى وطموحاتى وحياتى كلها لأضعها بين يدى رجل لا يعرف قيمتها ؟ ، بل وكيف قبلت أن أتزوج رجلا دون أن أمهل نفسى وقتا لكى أتعرف عليه وعلى طباعه، فيم كانت العجلة؟؟ إرتمت على وسادتها وهى تبكى، لقد كانت جفونها تتورم كثيرا من كثرة بكاءها فما أن تعالجها حتى يعاودها البكاء فتورم ثانية .. لقد مر على هذا الزواج ثلاث سنوات وأنجبت طفلها الثانى، لم تكن ترغب فى زيادة الإرتباط به ' فهى قد حصنت نفسها بإحدى وسائل تنظيم الأسرة، لأنها لا ترغب بمزيدا من المسؤليات على عاتقها فهى لم تعد تدرى إلى أين تسير حياتها مع زوجها ، ولكن إرادة الله تغلب كل سبب ... ..وفى هدوء راحت ترمق أطفالها بحنين يغمره الأسى حتى أن هدأ بكاءها ومسحت عبراتها ظلت تمسح على رؤوسهم بهدوء كانت تتشابك خصلات شعريهما بين أصابعها، لقد كانوا فى سبات عميق، تحسست بيديها ملامحهما الملائكية، كان كل مايشغل بالها كيف ستناقش أهلها أنها تريد ترك زوجها والإنفصال عنه نهائيا ولكن ماذا أفعل وعندى أولادى الذين أحبهم، هل أفترق عنه بالطلاق ؟ أطرقت برأسها برهة من الوقت تفكر،

ولكن من سيتولى مصروفات أولادى ومصروفاتى إن أنا تركته؟ من سيعولنا؟ إنها مسئولية كبيرة جدا على عاتقها لوحدها، وهى لا دخل لها ولا هى تعمل على الرغم من حصولها على بكالوريوس خدمة اجتماعية ، لكن حينما تخرجت حصلت على وظيفة فى إحدى الشركات ولكنها تركتها فيما بعد، كانت تتنقل بين الوظائف حتى وفاة والدها ثم تابعها وفاة والدتها، فبقيت فى المنزل مع عمها، الذى كان يرغب أن يحجز لها فى أى مقعد فى قطار الزواج، ولم يهتم إلا بالتخلص من هذا الثقل الذى تركه أخيه على عاتقه بعد وفاته ولم يكن لديه رصيد صبر على رفضها المستمر لكل من يتقدم إليها، فكان ولا بد أن تختار هذه المرة دون أن تأخذ وقتها فى التفكير، ظلت تقلب نظراتها بين أولادها وهم نائمون وتسأل نفسها ماذا عساها أن تفعل ؟ ظلت هذه الأسئلة تراودها طيلة لياليها كان نومها متقطع ولكن هاهى أخيرا لقد توصلت إلى إجابة بصدد أسئلتها السابقة .أجل لقد أخذت قرارا بشأن حياتها مع هذا الرجل، فهى لن تستطع مصارحة أحد من عائلتها بما هى تعيشه فى حياتها، وما تلقاه من إهمال، لن يهتم أحد بشأنها فهم كانوا ينتظرون بفارغ

الصبر لحظة خروجها من بيت عمها وقد تزوجت هذا الرجل، فلن يهتم أحد بشأنها، ولم يكن لها من الإخوة من تذهب إليه لتستشيره، كانت غربتها تقوضها من كل مكان، فكان لابد وأن تتخذ قرارها الذى توصلت إليه بعد تفكير طويل تخالطه مرارة الإحساس بالألم، لم يكن لديها خيارات كثيرة وهى تفكر لم يكن لديها سوى خياران اثنان لا ثالث لهما، ربما نظراتها لأولادها وأعراف مجتمعها الظالمة كانت من دوافع أخذها هذا القرار، ذلك المجتمع الظالم الذى لا يقبل بوجود مطلقة، وكأنّها كائن انتهت صلاحيته للحياة، فلا مكان له بين أوساط المجتمع، ولا بد لها أن ترضى بنظرات قد تأكل من جسدها قطعا قطعا طمعا فيها، فهو مجتمع يقول إن المرأة نصف المجتمع وهو مجتمع لا يحترم إنسانية المرأة، فالمطلقة لا مكان لها بين أركانه، ، فيفرض عليها أن تعيش متقوقعة على نفسها مقهورة مذلولة، لأنها رفضت أن تعيش فى ظل الرجل الظالم فهو لذلك رسم لها معتقدا وهو أن ضل راجل ولا ضل حيطة أصلا، وكأنّ الرجل والجماد الحيطة بينهما مقاربة، ولا أدرى ماهى تلك المقاربة ؟، طلبوا منها أن تجلس فى البيت تربى الأطفال وتخدم فى المطبخ والبيت

دون أن تلقى نظرة على كتاب أو مستقبل لها بل جعلوا كل مايشغلها البيت والأولاد، هذه غايتها فى الحياة، أما الإعتناء بعقلها بفكرها بدينها بأن ترسم لنفسها مستقبلا قد يأتى وقت احتياجها إليه يوما ما، لا ..كل ذلك حاولوا جاهدين إلهاءها عنه، فكانت النتيجة، أن هناك من النساء الكثيرات لا مهنة لهن بعد أن تركهن أزواجهن، لا يدرين ماذا يفعلن وكيف يدبرن أمور حياتهن، فكانت النتيجة المنطقية أن ترضى المرأة بقوانين الرجل الظالم أيا كانت تلك القوانين الظالمة، فمن ينفق عليك لابد وأن يحكمك بقوانينه، فسارت المرأة تقيدها سلاسل عبودية الخبز والمال وهى لاتدرى ، صارت رهينة لهذه السلاسل والقيود والأغلال، إما أن ترضى بقوانين الظلم من الرجل من ضرب وإهانة وإهمال وأكل لحقوقها، وإما أن تشرد هى وأولادها إن هى طلبت حقها فى ترك هذا الزوج الظالم ..فكانت نتيجة هذه الأعراف الظالمة التى لا تمت بصلة لأى دين، أن تصنع من بعض الرجال طواغيت فى بيوتهم، وأن تجعل من بعض النساء عبيدا لهم، فصارت المرأة تقارن وتختار بين الإنسانية ومعاملتها الكريمة وبين عبودية الخبز والمال، وكثيرا جدا ما ترجح كفة أغلال

وقيود تلك العبودية. لم يضع هذا المجتمع الظالم ضمن أعرافه الواهنة كيف تكون المرأة ضامنة لحقوقها بمجرد أن تهان كرامتها بضرب أو حتى بمجرد إهانة لفظية، وما أكثرها ..ماذا لو طالبت بحقوق إنسانيتها دون أن تذل من أجل المال لتعول نفسها وأولادها، وكثيرا مايترك الرجل أولاده بعد الطلاق دون أدنى إهتمام، ولكن الطريق الآخر الذى أصبح أمامها وما أوسعه من طريق فهو لا نهاية له ألا وهو طريق القضاء، فربما تظل المرأة المطلقة تتسول حقوقها المادية بين المحاكم لسنوات، أما هذا الزوج الظالم فيتنعم ولا يصيبه شىء، .. فالمرأة ليست نصف المجتمع ياسادة، بل هى الأساس المتين الذى يقوم عليه مجتمعاتكم، فلم لا تسن القوانين العادلة لحماية حقوقها لا أقول المادية فقط بل وحقوقها كإنسانة ؟ لماذا لا تكون هناك عقوبات رادعة لمجرد الإهانة اللفظية لها، فضلا عن الإهانات بالضرب، وللأسف لابد أن يكون الضرب مبرحا يترك آثاره عليها حتى تأخذ حقوقها ويعاقب الرجل على ذلك، لماذا كل هذا التهاون فى حقوق المرأة وهى التى تتحمل من الأعباء النفسية مالا يعلمه إلا الله، لقد جارت قوانينكم، فجعلت المرأة تعيش فى ضل الحيطة،

أقصد فى ضل الرجل وهى غير راغبة فى ضله، ولكنها تعلم أن المجتمع أعرافه لن ترحمها كمطلقة، ولن تعطيها حقوقها إلا بعد حين من الزمن، ربما يكون وهن جسدها من الإحتياج واضطرت للتسول، إن الأعراف السائدة فى المجتمعات سببا فى أن تعيش المرأة فى كنف رجل كارهة له وأن تهين من نفسها من أجل المال والخبز فتنشأ فى تلك الأسر أجيال تستقر بداخلها أن المرأة لابد أن يقهرها الرجل وهى تصبر وتتحمل من اجل اطفالها فينشأ مسخا من هذه الأسرة وتتوالى الأجيال بهذه المعتقدات الخاطئة التى نشأت عليها ...و لذلك قررت « أمل» أن تستمر مقهورة مذلولة من أجل الخبز والمال ... قررت أن تتحمل كل أنواع الإهانات فى سبيل أن تطعم أولادها ونفسها. قررت أن تعيش الحياة أى حياة، لا يهم، وكان هذا هو الطريق الذى اعتادت السير عليه كثير من النساء

مرت الأيام والرجل يزداد إهمالا لزوجته بل ولم يتحمل حتى عبء تربيتهم النفسى، أهملهم كما أهمل أمهم. ولكن لقد أخذت قرارها من ذى قبل سوف تستمر فى حياتها معه فهى ليست مؤهلة لتحمل مسؤليتها ومسؤلية أولاده وحدها .....لقد كان هذا قرارها والقرارات هى

من تصنع بل وتشكل نوعية حياتنا ومصائرنا,,,,.. كادت تخنقها كل هذه الأحداث من حولها، كانت لا تعتقد بقدوم فجر جديد سوف تزول على إثره ظلمة الليل، استسلمت لإهمال زوجها، وقررت أن تتحمل كل هذه الإهانات الجسدية والنفسية من أجل أولادها، كانت بين الحين والأخر تتفقد أثر بعض الكدمات على ظهرها أمام المرآه أو تلك التى تركت آثارها على ذراعها، لم تسلم حتى من الإهانات اللفظية وأمام أبنائها كانت تتجاوزها، كل ذلك كان كفيلا أن يجعلها تنام على سريرها آخر الليل وهى مقهورة على نفسها، فهى لم يكن يعاملها احدا بهذه الإهانات يوما ما بل كان والداها يكرماها فى المعاملة والتربية، ولم تجد بين والديها فى المعاملة إلا كل احترام وحب ورحمة .. كانت « أمل» بالفعل تعيش محنة شديدة صعبة جدا على نفسها ولكن سبحان

من يخلق من بين المحنة منحة لأصحابها، فقد نبصر يوما شعاع الأمل رغم الظلام الدامس ،أجل أنظروا مثلا إلى دودة الفراشة، إن أصعب مرحلة من مراحل تطور دودة الفراشة حين تلتف بشدة داخل شرنقتها لدرجة انها نفسها تظن أنها أقبلت على الموت ،ولكن بينما هى

كذلك فاءذا بحالها يتغير
ويتبدل فتظهر لها الاجنحة رائعة الالوان فتطير بها وتحلق بها فى كل مكان ترى فيه العالم كله من سماءها الواسعة، تنطلق حرة بين الأشجار والأزهار بعد أن كان لها أرجل ضعيفة تمشى بها منحنية الرأس والظهر على الأرض، وهكذا تبدو كل هذه الاوقات الصعبة القاسية التى تلتف حولنا تكاد أنتخنقنا ونظن انها النهاية لحياتنا، ولكن الحقيقة ستكون بداية ميلاد حياتنا وحريتنا، نعم سيتبدل كل شىء حولنا سيتحول الضيق إلى سعة، سنبصر شعاع النور من بين ثنايا الظلام الدامس، وستظهر لنا الأجنحة التى سنحلق بها فى سماء الحياة من جديد وسوف تختفى كل هذه الأوقات الصعبة القاسية كما اختفت أرجل دودة الفراشة ولن يكون لها أثرها فى حياتنا، بل سيبقى منها فقط تلك التجارب التى نتعلمها منها فقوينا من خلالها وستتغير بسببها حياتنا .فالأوقات الصعبة ما أتت لتبقى، بل أتت لتكون سببا فى ميلاد جديد لنا ..... إنه ميلاد فراشة. نعم سنولد من جديد حتى إن كانت كل القوانين والأعراف الظالمة تحيط بنا تريد قهرنا وسلب إرادتنا، وهذا ماصنعته هذه الأوقات القاسية مع «أمل»

لقد جعلت منها إنسانة أخرى وإليكم الأحداث، لقد جاء له عقد سفر إلى إحدى الدول العربية، ووافق عليه ولا تدرى أمل هل سفره هذا كان هروبا من الحياة معها أم أنه من أجل الرزق كما كان يقول لها .. لقد سافر ولكن وما الفرق؟ لقد كان حاضرا بجسده معها، غائبا عنها بروحه وتفكيره ...بدأت تشعر مع أولادها بالوحدة والضيق، لقد ترك إمرأة لا خبرة لها فى الحياة إنها الأن لوحدها مع أطفالها، يا ترى كيف ستتصرف لوحدها ؟ فالحياة متعبة وشاقة هى بالفعل كانت من قبل وحيدة وفى عزلة ولكن الأن أصبحت أكثر وحدة وغربة، ظنت أن هذا السفر ليس فى صالحها وأن الأمور ستسوء أكثر وأكثر. ولكن هيهات فكم من أحداث تفرض نفسها علينا فتضيق صدورنا بها ثم نفاجأ أنها كانت الخير لنا ولو بعد حين تحملت « أمل» المسؤلية كاملة تماما أصبحت هى من تدير البيت وتربى الأولاد وتنتظر المصروف الذى يرسله لها عبر الصارف الآلى، كانت تذهب بأولادها بين الحين والاخر إلى الطبيب لمرضهم ، وكانت تجلس بهم عند الطبيب لوقت متأخر من الليل، وقد تحمل أحدى طفليها لأنه نام أثناء الإنتظار فى العيادة، فتدخل البيت

مرهقة تماما، وتذهب إلى المدرسة لحل المشاكل المدرسية لدى أولادها، وتذاكر الدروس لهم، وكانت تحاول دعمهم نفسيا بالحب والحنان لأن الرجل لم يكن فى ضمن أولوياته هذه الأمور ..زاد إرهاقها وتعبها كانت المسؤلية على عاتقها شاقة للغاية كأنّه جبل تم وضعه بكل ثقله دفعة واحدة على كتفيها،، حتى أنها لم يكن لديها إخوة تشكولهم حالها، ولم يكن لها من الأقارب من هو قريب جدا من قلبها ومشاعرها لربما يشعر بها ويساعدها فى حمل بعض هذه المسؤلية، لقد كانت هناك مسؤلية من نوع آخر تواجهها إزاء أولادها ألا وهى المسؤلية النفسية، كانت تحاول أن تعطى لهم الحنان والعطف اللذان كانا فى شدة الاحتياج إليهما فهو لم يشبعهما حنانا ولا حبا حتى وقت وجوده فى البيت معهم ..فهو لم يتعامل مع طفليه بمعنى الأبوة وهى الدفء والحنان والرحمة والإحتواء، لم يلعب معهما كطفل ولم يجرى معهما، لم يتبادل معهما النكات

والمشاعر، فكانت النتيجة أن حتى طفليه لم يفتقدا وجوده، ربما كانا يبكيان من أجله لحظة سفره من المنزل ولكن سرعان ما تعود حياتهما خلال سويعات إلى حالها

وهدؤها ...لقد كانت أمل مشيتها كثيرا ما تكون منحنية الظهر لقد كانت تحمل على ظهرها « حقيبة» أجل، ولكنها مليئة بأطنان من الهموم والأحزان وصوره معها فى ذاكرتها، كل الصور مؤلمة حزينة، كانت دائما تجر هذه الهموم وراءها جرا ... فدائما أحزاننا تظهر على وجوهنا، على مشيتنا، شئنا أم أبينا، ولكن أما آن الاوان أن ننزل حقائبنا تلك من على ظهورنا لننطلق فى الحياة، أجل، إن كل منا يحمل حقيبة من السلبيات والهموم والأحزان، فكلما هم لبناء نفسه وذاته جاءته تلك السلبيات تجره جرا إلى الخلف، فلابد له من إنزال هذا الثقل بل وحرق كل ما بداخله من السلبيات سواء صور كانت أم ذكريات مؤلمة، فلا يبقى معه إلا حُلمه وأهدافه التى أراد أن يحققها فى هذه الحياة لكى تدفعه فى رحلة الحياة إلى الامام. لقد كان ولا بد من أن تفعل أمل ذلك وإلا فكيف لها أن تكمل حياتها وظهرها بهذا الإنحناء والضعف، لابد وان تنزل هذه الحقيبة الثقيلة من على ظهرها فكيف لها أن تكمل خطواتها مع أولادها إلى الأمام وهى مثقلة الحمل ..... ذات ليلة من الليالى بعدما نام أطفالها وقفت «أمل» أمام المرآه تمشط شعرها ولكن لم تكن على عجلة

هذه المرة من أمرها، فنظرت مندهشة لقد فاجئتها هذه الخصلة البيضاء تلمع فى شعرها وكأنّ هذه الخصلة تريد أن تهمس إلى أذن أمل بكلام لا تريد أن يسمعه أحد سواهما فرمقت أمل خصلتها طويلا وشردت بذهنها وكأنّ الخصلة تهمس قائلة ... عزيزتى ..لا تجزعى منى فما جئت إلا سائلة عنك ،أجل عنك أنت جئت أسألك عن أيامك وسنين عمرك كيف قضيتيها ؟ جئت أسالك عن حُلم صباك، عن هذه الرسمة التى كنت قد رسمتيها لنفسك وأنت صغيرة بضفيرتك الجميلة، هل تذكرينها؟ .. «أمل» ظلت فى صمت واقفة ترمق خصلتها عبر المرآه، شرد ذهنها، بعيدا ،لقد تذكرت رسمتها تلك، ثم تمتمت والعبرات تغرق وجهها قائلة: أجل رسمتى التى لطالما رسمتها بأقلامى، إنها حُلمى الذى رسمته وإذا بفيضان ثانٍ من عبراتها الحزينة يفيض على وجهها ثم تمتمت.. قد كان لى حُلما أردته لنفسى و كتبته يوما على ورقة ورسمته بريشة ألوانى

صدمنى الواقع فطويت تلك الورقة بعيدا عنى ولكنى... ولكن لم أنساها وعاودت الخصلة البيضاء الحديث إليها من جديد فى دفء .. أى واقع عزيزتى تقصدين؟، هذه

الحياة أنت من تصنعينها بقوتك وإرادتك وثقتك بربك فهو لايخيب من ظن فيه الأمل أبدا، ولكن اعلمى أن حُلمك وحياتك كلها لن تكون على أرض الواقع كما تريدين إلا بأقلامك أنت لا بأقلام وألوان غيرك

إنتبهت « أمل» من حديث خصلتها، لقد كان صوتا بداخلها يصرخ قائلا لا إحترسى « لقد بدأ حُلمك يشيب « فتداركى الأمر قبل فوات الأوان ..

كان حُلمها تلك الحياة الهادئة التى كانت تحلم بها مع زوج المستقبل وأن تحقق ذاتها وإرادتها بعمل. ما كانت تدرى ما هذا العمل الذى تريد أن تحقق ذاتها به، ولكنها كانت تشعر بداخلها أن لديها قوة تستطيع أن تحقق من خلالها حُلما يغير حياتها ولكنها لم تكن تدرك بالتحديد ماهيّته .. ولكن قريبا ستدرك ذلك الأمر. إزداد الفراغ فى حياتها شيئا فشيئا، لاتدرى ما تفعل حياله ،و لا تجد نفسها أمام التلفاز ولا مع الجيران، حتى مكالماته معهم إذا أرادت مشاركته فى مشاكلهم وهموم أولاده، كان يصرخ فى أذنيها وماذا تريدون منى أن أفعل ؟ كانت تحاول أن تقربه منها، لكنه لم يكن يروى ظمأها يوما قط.... لقد أراحت نفسها لذا أخذت قرارا صامتا قرارا لا يعلمه أحد

سواها ألا وهو سأعالج جميع مشاكلى أنا وأولادى من الأن بنفسى، لن ألجأ لأى أحد، مهما كانت تلك الهموم أو المشاكل، لقد عوّدها الرجل على كل شىء، بدايةً من عدم نقاشه وحواره معها و تركها فى غرفة النوم كثيرا جدا تنام بمفردها فكانت تتقلب عن اليمين والشمال فلا تجده ، والأن عوّدها أن تسند نفسها بنفسها، بمعنى آخر لقد درّبها على أن تكون ظهرا لنفسها ولأولادها، لقد بدأ الأمر بالفراق الجسدى، ثم أتت غربة الروح، وستعيش فيما بعد بل قريبا جدا غربة من نوع آخر، ألا وهى غربة الأفكار والعقل .. أتدرون ما الذى يحدث؟ أتدرون ما الشىء الذى ترسّخه أفعال هذا الرجل وكلماته حيال زوجته ؟ إن الرجل ينسحب الآن من حياتها تدريجيا، فلن يتواجد فى دنياها بأى صفة سوى صفة المُنفق، فهو مصدر المال والمصاريف، ولقد قررت سابقا أنها ستبقى وستستمر فى ظل عبودية المال والخبز .

أصبحت أمل بعد ثلاث سنوات غربة تتقن تماما فن تحمل المسؤلية. لقد مرت ثلاث سنوات الان على سفره وتركه لها ولأولاده، لقد باتت تعتمد على ذاتها فى حل كل مشكلاتها هى وأولادها ولا دخل للرجل إلا فقط بالمصاريف، إن

التعامل بمفردها مع المشاكل والعقبات و شخصيات الناس المختلفة أورثها صلابة وجرأة وقوة لم تعهدها فى شخصيتها من ذى قبل، كانت خلال الثلاث سنوات تلتقى به قليلا إما أن تسافر له، أو أن ينزل الأجازة ليقضيها مع أهله لقد كان لا يلبث أن ينزل أجازته وماهى إلا سُويعات حتى يسحب أمل وأولادها سحبا إلى منزل أهله ليقضى هناك أجازته، وكانت بين الحين والأخر تهمس إليه فى خلوة لها معه فى غرفتهم، متى سنعود لمنزلنا؟

أريد أن أقضى المزيد من الوقت معك، إقضى مع أهلك من الوقت الذى تريده ولكن لاتنسى أريد أن أنفرد معك أنا والأولاد فى منزلنا .. ولكن ربما كانت تلك المحاولة تفعلها لترمم ما يحدث فى بناء تلك الاسرة، لقد أصبحت أركان البناء تتآكل شيئا فشيئا، وهو لا يشعر فالمرأة كيف يكون لها زوج، وعلى الرغم من ذلك تعيش دون رومانسية أو حب ؟ كيف تعيش دون مشاعر دافئة أو إحتواء وإهتمام لها من زوجها ؟ كيف لاتسافر مع زوجها وقد تيسر الحال معه فى أى مكان ليجددوا حياتهم الزوجية التى أصبحت الغربة الجسدية والروحية تنخر فى أركانها شيئا فشيئا ؟ ولكنه لم يكن يعبأ بتلك المحاولات، وعلى

الرغم من حديثها مع أمه وأبيه عن تغير ابنيهما، لكن لم يغير ذلك منه شيء، لقد كانت تسمع نفس الكلمات التى تسمعها كل امرأة « استحملى علشان ولادك « نعم ستتحمل أمل وستعاود بين الحين والاخر الكلام معه ليهتم بها كما يفعل الرجل مع زوجته ولكن كل محاولة كانت تبوء بالفشل كالعادة،كانت حتى اتصالاته عبر السكايب وهو فى السفر كان يسأل فيها عن أولاده مجرد سؤال أما عند طلب التدخل فى حل أى مشكلة ولو بمجرد أن يعرض رأيه فلا جدوى. كثيرا كانت تتسوّل منه المشاعر الطيبة نعم كانت تتسول منه الكلمة الجميلة والإحساس الدافىء، لقد كان الأمر يصل بها أن تتوسل إليه ليعاملها معاملة كريمة، بدون إهانة، ولكنه كان يرد عليها « إنتى مش عرفة قيمة النعمة ما انتى بتاكلى وبتشربى وبتلبسى إنتى وأولادك « يا الله .. كم كانت تحبطها تلك الكلمات كثيرا، وهل أنا تزوجتك من أجل الأكل والشرب واللباس يارجل؟ إننى كنت أيضا فى بيت عائلتى أشرب وألبس وآكل .. وهل أنا غنمة فى قطيع يكفيها أنها تأكل وتشرب ؟ أنا إنسانة لى كرامة وحقوق زوجية لم أعيشها .. لقد أصبحت تتسول المشاعر الرومانسية منه وكذلك

تتسول أن يعاملها بكرامة. ... ، لقد زاد الفراغ العاطفى والفراغ الجسدى، فراغ الروح، لقد انسحب الرجل من حياتها عمليا بمعنى الكلمة، فأين هؤلاء الذين يقولون « ضل راجل ولا ضل حيطة « أى رجل تقصدون ؟ حتى أن المرأة لا تحتاج إلى ضل الرجل كبديل لها عن ضل الحيطة ولكنها - أكررها ثانية- تحتاج إلى رجل لا إلى ظل تحتاج إلى إنسان يعيش معها بكل أحاسيسه ومشاعره بكل كيانه، ولكن هناك بالفعل أوقات تحتاج فيها الأنثى إلى ضل الرجل لتستظل به فى لحظات تتساقط عليها أمطار اليأس والقلق والخوف حيث تحيط بها من كل مكان، حينها تبحث عن ظله حولها لتختبىء بين أركانه فى دفء، وكذلك تحتاج إلى ظله فى أوقات الحرارة المرتفعة حتى لا تصيبها ضربة شمس، أجل فحينما تتوالى عليها ضربات لحظات الضعف والهموم والأحزان تنظر حولها باحثة عن هذا الظل لتستكين عنده فى أمان وراحة، ولكن ماذا لو أن المرأة تحسست هذا الظل حولها فلم تجده فى كل هذه اللحظات ؟ هنالك فقط تستنهض روحها

بقوة وهبها لها الخالق، لترمم حطام ذاتها المتناثرة فتصنع لنفسها لا أقول ضلا بل حصنا منيعا تحتضن ذاتها بداخله

وتحميها من كل ضربات الحياة المتتالية الموجعة، بل ومن كل أمطار الخوف والقلق التى تتساقط عليها من كل مكان، فإذا بها تصنع تلك المرأة لنفسها حصنا وليس ظلا، لقد ضاق
صدرها كثيرا وفاض صبرها، ماهذه الحياة المهينة ؟ إن الأزمة التى كانت تعيشها أمل كانت أزمة هوية. أجل هى لاتدرى من هى بعد.. فعندما تتسول المرأة مشاعر الحب ومعاملة الإنسانية من زوجها تجدها تائهة عن ذاتها الحقيقية، فهو بالفعل كان ينعتها بصفات تفقدها صفاتها وذاتها، بل وإنسانيتها، وهى للأسف الشديد كانت تعتبر رأيه فيها واقعا حقيقيا لها، نعم كان بمعاملته تلك أراد أن يمحى شخصيتها من كل ما يميزها، فيكون هو الآمر الناهى، الذى لا تناقشه زوجة، ولا تنصحه، فهو « سى السيد» وهى الخادمة المطيعة التى لا ذات لها هى فقط تُلبى ما يريد منها وتُطيعه وإلا فهى زوجة فاشلة، وأم غير ناجحة، بل وربها غضبان عليها، هكذا كان يرى مقام الزوجة أو المرأة عموما، وهذا لا يدل إلا عن نقص فى جوانب شخصية هذا الرجل، فهو لا يجد نفسه رجلا إلا فى بيته، وعلى زوجته. فالطاعة العمياء

هى أصل العلاقة الزوجية عنده وأصعب شىء أن يفقد الإنسان منا هويته وذاته فلا يُعَد يدرى من هو بل والأشد من ذلك هو أن يعتبر رأى غيره فيه واقعا له فى حياته ... ..ولكن هل رأيتم البحر يوما ؟ أجل هل رأيتموه؟ إن البعض يصفونه بالقوة وينعته آخرون بالغضب ويصفه أولئك بالغدر .. يتعدد الوصف له ولكن يبقى البحر كما هو، تتحرك أمواجه ومالحة مياهه، لا تغيره كلماتهم ولا يعير اهتماما لنعتهم، كأنّه يدرك « هويته» وقد تمضى بنا رحلة الحياة ولا يدرى بعضنا هويته كما كانت أمل، ولكن لحظة وما هى الهوية ؟ يعتقد البعض أنها مجرد جنسيتك أو ديانتك، لا بل هى أيضا ذلك الإنسان الذى يعيش بداخلك، هى ذاتك وأفكارك، عالمك الجوانى الذى لا يدرى عنه مخلوق أى شىء سواك، ولكن قد تتناوب علينا طيلة حياتنا بعض الملصقات التى ينعتنا بها الاخرون فنشكل حياتنا وأفكارنا طبقا لها فنمضى فى حياتنا نعيش «أزمة هوية» ولا ندرى بها لأنها صارت معتقدات نعيش بها صرنا نعيش بناء على هذا الملصق الذى نعتونا به، فالبعض ينعتنا بالمطلقة المسكينة أو الأرملة البائسة أو الفاشلة فى حياتها أو ....أو..... وتتوالى علينا الملصقات من

هؤلاء الفوضويون الكسالى الذين لو انتبهوا إلى حياتهم لحظة لوجدوا أنفسهم بلا أى هوية، وما أشدّها علينا من خسارة أن نجد أنفسنا نعيش حياتنا طبقا لما أراده لنا الاخرون .. إننا بحاجة أن نغوص فى أعماق أنفسنا، داخل هذا الإنسان الذى لا نعرفه، لنسأله عن أفكاره وطموحاته، ماذا يريد من هذه الحياة ؟ ولماذا يريده؟ ولابد أن نكرر هذا السؤال لأنفسنا كثيرا حتى نجد الإجابة، ولربما تحتاج الإجابة منا لأيام طوال حتى نجدها، فلا يتعجل أحدنا من رحلة الغوص تلك، ولاريب أنه سيعود منها ببعض اللآلىء، والأحجار الثمينة، ولربما نجد تلك الجوهرة الثمينة التى كانت مستترة مستكينة بين شعاب أنفسنا، سنعود من رحلة الغوص تلك وقد نزعنا عنا كل الملصقات التى نعتونا بها، مؤكد سنعود بهوية جديدة لقد كانت أمل، فى حاجة شديدة إلى رحلة الغوص تلك بداخل أعماق نفسها لتستكشف من هى ؟ وماهى هويتها ؟ بال بالتأكيد لقد عبودية الخبز والمال تلك الهوية

إن القهر والذل قادران على أن يطمسا معالم هويتك بل إنسانيتك وأنت لا تدرى فيسير الإنسان منا فى حياته يتحسس ذاته، تجده يبحث عنها فى كل مكان داخل

أعماق نفسه، وما أن تحين له الفرصة ليجلس منفردا، حتى يسأل من أنا ؟ هل هذه الحياة هي التى رسمتها لنفسى ؟ هل هذه آمالى وطموحاتى ؟ لماذا وكيف ومتى أصبحت هكذا ؟ وكثيرا ما يقوم الواحد منا من جلسته تلك إلا وهو منهك الذهن ومتعبا من البحث عن هويته ...فهل من طريق لإستعادة هوية مفقودة؟، ولكن لكى تستعيدها فلابد من بذل الكثير من الثمن. وهناك من يريد لك ألا تبحث عن هويتك المفقودة الضائعة لأن من مصلحته أن لا تعثر عليها، وأن تموت بداخلك هويتك وذاتك وأن لا يبقى منك إلا هوية العبيد المقهورين بعبودية الخبز والمال ولكن هذا ما يريدونه هم، أما الله الرحيم فقد أريد شيئا آخر، فقد تحى أمطار السماء زهرة قد أقبلت على الرحيل من دنيا الناس. قد تأذن إرادة الله تعالى أن تنبت زهرة فى صدر جبل .. وهذا ما أرادته إرادة الله ورحمته بهذه المرأة ..لقد بدأت أمل فى رحلة الغوص تلك لإستعادة هويتها ولكنها ما كانت تدرى بالفعل كم هذه الأحجار الثمينة التى ستعود بها لم تكن على علم بأنها على موعد لإستكشاف جوهرة من أغلى وأرقى أنواع الجواهر .....وإليكم الأحداث ... الآن وقد مرت

عشر سنوات على الزواج منهم أربع سنوات سفر الزوج بالخارج ..

لقد ظهر عشقا جديدا فى حياة أمل عشق من نوع آخر لم تصادفه قط فى حياتها، ظهر ذلك فى السنة الرابعة من سفره، الآن هى قادرة

على تحمل المسؤلية، لديها الجرأة والشجاعة على مواجهة كل مشاكلها بثبات ويقين، يبقى الآن افكارها وعقلها لابد أن تسقى بماء نقى كان ذلك الماء الذى سقى عقلها وكان سببا فى نضج أفكارها هو القراءة ... أجل هذا هو عشقها الجديد الذى لم يخطر على بالها يوما، لقد بدأت تملا هذا الفراغ الذى كان لديها بالقراءة والإضطلاعات المختلفة، بداية أمسكت كتبا تتكلم عن السيرة النبوية وعن تفسير القران. بدأت تقرأ عن حقوق المرأة، وعن تفسير الآيات التى تخطط لبناء الحياة الزوجية، فوجئت بمعنى القوامة فى تفسير الآية « الرجال قوامون على النساء» .. ماهذا يارب، إن القوامة هى أن المرأة إحدى مسؤليات الرجل، وليست إحدى ممتلكاته، لابد أن يكون سندها وظهرها لابد أن يبادلها مشاعر الحب والرحمة ، فالقوامة ليست قهر للمرأة، القوامة إذن لا تعطى للرجل

حق ضرب وإهانة المرأة ولا إهمالها، ولا أن يعايرها بأنه يطعمها بل ذلك فرض فرضه الله تعالى عليه .. هل كرمنى ربى وجعل لى كل هذه الحقوق إنه تعالى يقول « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف « إذن حقوقى مثل حقوق الرجل وأما « وللرجال عليهن درجة « فهى القوامة التى فهمتها سابقا... وجاءت تقرأ فى السيرة إن النبى الكريم محمد صلى الله عليه وسلم كان يجلس على إحدى ركبتيه ويثنى الأخرى لتصعد عليهما زوجه لتركب ناقتها، وهنالك حديث تقرأه إنه يصف النساء وصفا رقيقا فيقول « رفقا بالقوارير» وتابعت القراءة لكل الايات والأحاديث فى السيرة ففرحت وابتهجت أساريراها، إن لى حقوق وكرامة وإنسانية فى هذا العالم أعطاها لى ربى، فلم الدنية تلك التى تقبلها فى حياتها، لماذا تقبل الإهانة والقهر مقابل الخبز والمال، إن من حقى أن ينفق على وأنا ممتلكة لكل حقوقى وكرامتى وإنسانيتى، من الذى شرع إذن للرجال الظالمين أن يقهرون ويذلون نسائهم مقابل اللقمة وتربية الأولاد؟.. تعمّقت فى قراءتها فوجدت أن المرأة خرجت قديما فى غزوات المسلمين وكذلك خرجت فى غزوات المشركين، إذن المرة كانت تشارك فى الحياة

السياسية، كانت تشارك فى الحرب، وقرأت فى موقعة الجمل تلك كان الجيش المسلم يُلقب فى روايات الكتب بجيش عائشة « زوج الرسول صلى الله عليه وسلم « إذن الجيش يُلقب باسم امرأة، ما هذا ؟ إذن المرأة ليس مكانها فى المطبخ فلا تخرج منه، ولا البيت فلا تجلس فيه حتى الموت، إذن المرأة لها دورها فى المجتمع، بل قرأت أن فى فتح مكة، أجارت امرأة مشركا فوافق النبى صلى الله عليه وسلم، إذن المرأة كان يعترف بحقوقها السياسية والإجتماعية، المرأة قيمتها فى عقلها وأفكارها، لابد وأن تكون المرأة متعلمة قارئة لكى ينشأ جيلا عالما، لا جاهلا.. فوظيفتها تربية العقول لا تربية البطون ....أجل المرأة كائن له شأن عظيم فى المجتمع، ليست شيئا مهملا، ليست عارا كما تصورها كثير من المجتمعات الشرقية، وليست كائنا كل وظيفته إغراء الرجال من أجل ترويج سلعة كما يصورها لنا الغرب أيضا، لا هى ليست كذلك هى ليست نصف المجتمع كما كانوا يصورون لنا، بل هى المجتمع كله دون أدنى شك..ثم اشتد نهمها للقراءة شيئا فشيئا أرادت أن تفهم الكثير من الأحداث تحيط بها على مستوى العالم ففكرت أن تقرأ فى السياسة، فى البداية

أمسكت كتبا صغيرة جدا، ثم تدرجت أن بدأت تقرأ فى كتب تتجاوز المائة و المئتان من الصفحات. لقد كان الفراغ كبيرا فى حياتها ولكنها وظفته لصالح ذاتها وعقلها كانت تدخل إلى مواقع التواصل الاجتماعى لتتعرف على نقاشات وأفكار الآخرين، لتجد نفسها تريد أن تنهم من العلم والفهم حول كثير من القضايا التى يتحدث عنها الآخرون، بدأت تحمل كتبا كثيرة من خلال مواقع النت، كتبا هذه المرة كانت تكبر حجما عن سابقيها من الكتب، كتب فى التاريخ، السياسة، التنمية البشرية، الأدب الغربى والعربى، روايات .... لقد تبحرت كثيرا فى القراءة فى كل ذلك، كانت الكتب بمثابة السفن التى تركبها كل يوم بل كل لحظة لكى تسافر عبر السطور إلى شتى الأماكن كانت تتنقل من بين السطور فى سعادة تغمرها، لقد كانت تنتقل من خلال الأفكار والكلمات من عالم العبيد إلى عوالم آخرى، مليئة بالحكايات والروايات عن الذات والإنسانية والكرامة، تتحدث عن داخل الإنسان وأعماقه، الإنسان وعالمه الداخلى، هذا العالم الذى كان غائبا تماما عن أمل، كان غائبا عن ذهنها أنها إنسانة، وليست من إماء « سى السيد» ...كانت تسافر عبر قوارب الكتب من

بلد لأخرى وهى لا تدرى أنها تبنى الأن بناء شامخا لن تقدر كلمات ولا إهانات زوجها أن تنخر فيه ولو بقدر ضئيل، هى لم تدرك هذا البناء إلا حين اكتماله، أما الأن فهى على موعد وضع الأساس لهذا البناء العظيم، إنه بناء لانسانة أخرى إنسانة لم تعرفها هى نفسها من قبل، إمراة من طراز اخر...لقد أصبح الكتاب هو أنيسها الوحيد فى عزلتها الروحية والجسدية التى كانت تعيشها، فالحمد لله الذى لم يجعل نهمها هذا لمواقع النت الرديئة أو مسلسلات التليفزيون أو لحوارات نساء العمارة التى لا تنتهى من النميمة والغيبة، كانت تعيش بين سطور الكتب، رأت نفسها ترحل من بلد لاخرى عبر الروايات والكتب، كانت لا تشعر بالوقت الذى يمر بها حتى تناولها للطعام لم يعد إلا وفى يدها صديقها الكتاب، كانت تحلق بين ثنايا الكلمات والسطور، كانت تنصت بعقلها إلى كل كلمة وكل فكرة ثم تسرح بأفكارها بعيدا، كانت أفكار الكتب وقراءتها لها تنفض عنها غبار جهل سنين مضت من حياتها، كان شعاع النور الذى يخرج من بين ثنايا الكتب ينير ظلمات حياتها .. شردت بذهنها يوما ما بعد أن أغلقت دفتى الكتاب الذى بين يديها سائلة نفسها من

أنا ؟ لقد كان سؤالا اعترضها فى هذا الكتاب الذى كانت تمسكه منذ قليل .. قالت من أنا ؟ فأجابت أنا هو أنا تمتمت هادئة ولكن أنا لست شيئا قط، أنا أمة مقهورة مستعبدة تلفنى سلاسل الظلم والقهر من أجل الخبز والمال .... كانت هذه إجابتها اليائسة على نفسها، ولكن قريبا ستعرض على نفسها نفس هذا السؤال بعد وقت طويل وليالى من القراءة والإضطلاع وستتغير إجابتها، لانه ستكون هنالك ولادة لإنسانة جديدة عن قريب، ولكن الآن هى فى فترة المخاض الموجعة. مرت شهور طويلة وهى تجالس كتبها، لقد بدأت تشعر بخفة غريبة فى روحها إنتابها هذا الشعور كثيرا، كانت تتساءل ما هذه الخفة التى أشعر بها داخل روحى ؟ كانت لا تدرى أن سلاسل العبودية والجهل والاستعباد كانت تتحطم وهى لاتدرى، لقد كانت كلمات الكتب وصفحاتها قادرة على تحطيم هذه الأغلال، وكما يسوق الله تعالى الماء إلى الأرض الجرز، فقد ساق الله تعالى إليها هذه الكتب، بل ساق إليها من أصدقاء الخير من كانوا ييسرون لها فهم مالا تفهمه من الكتب فجزاهم الله خيرا، لقد أحياها الله تعالى على حين غفلة من هذا السجّان الظالم، وحين

انتبهت إلى نفسها قامت مسرعة إلى فستانها الأبيض تنزع منه أحلامها وطموحاتها وحياتها التى نحتت صورتها بداخل نسيجه،

قائلة : لم يكن مكانك هنا فى نسيج هذا الفستان، أجل لم يكن لأمل الإنسانة مكانا لها فى حياة هذا الظالم، الذى لا يدرى ماقيمة المرأة إلا بحساء وطبيخ وتنظيف وأن تكون على أتم استعداد حين تطلبها شهوته، لا يهم إن كانت متعبة أو مرهقة، لا يهم إلا مايريده هو، هو يتعامل مع أمة، وليست زوجة له وأما لأولاده .. أجل إن مكان أحلامها ليس

هنا فى نسيج فستان أبيض، لا بل أحلامها وطموحاتها وحياتها التى رسمتها لنفسها لابد أن تكون على أرض الواقع ومرة أخرى بعد شهور طويلة مرت بها وراودها على حين غفلة هذا السؤال من أنت؟ آه تنهدت من داخلها، والعبرات تتساقط من عينيها لتغرق وجهها قائلة : من أنا ؟ ولكن إجابتها هذه المرة قد اختلفت عن سابقتها .. قالت... أنا إنسانة ولدت من جديد، أشعر بحرية وخفة داخل روحى، لقد كانت ولادتى عسيرة جدا ومخاضى صعب للغاية، لقد كانت ولادة عقل وفكر

وروح، إنها ولادة إنسانة جديدة، أخيرا وجدت هذه الأميرة التى كانت تسكن بداخلى ولا أدرى بها، أخيرا استيقظت بداخلى كلمة « لا « لأاصرخ بها معترضة على كل ما لا يناسبنى أو يكسرنى أو يريد أن ينتزع منى هويتى، أخيرا أصبح لى حُلما أطارده فى كل

وقتى، وأعيشه فى مخيلة عقلى .. ثم تمتمت قائلة : الآن فقط علمت لماذا يخاف البعض من أن تقرأ المرأة لانها إن قرأت انتبهت من غفلتها تبحث عن عرش مملكتها المفقود « هكذا كان حديثها لنفسها : منذ شهور قليلة كانت ترى نفسها أمة مقهورة، ولكن الآن بعد شهور من القراءة والسفر عبر

ضفاف الكتب أصبحت ترى نفسها أميرة بل ملكة متوجه على عرش مملكتها، ياله من فارق بين هذه المشاعر وتلك ...إنها القراءة للكتب قادرة على تغيير نظرة الإنسان منا لحياته بل قادرة على إنارة العقل وتصفية الروح من كل شائبة.. جلست ذات يوم تتناول قهوتها المفضلة فى الصباح، كانت شاردة الذهن تفكر، هل كانت تفكر فى هذا الرجل؟ لا إطلاقا إنه لم يعد يمر على بالها أصلا، إنها انتقلت بذهنها وأفكارها إلى عالم نقى جميل، وتلك

هى الغربة التى قد أشرت إليها سابقا هى غربة الأفكار والعقول، إن حدث أى حوار بينهما كان يعده صراعا لا حوارا لذا ما كانت تفكر فى أن تتكلم معه

ولا عادت تتسوّل منه مشاعر الرومانسية والحب، لقد سأمت مهنة التسوّل تلك، لقد كان آخر عهدها به فى الكلام فى شهر يناير حين صرخ فى وجهها قائلا لها « سأكسرك وأتزوج عليك»، ولم يعتذر بعدها، « تكسرنى» ترددت تلك الكلمة فى ذهنها وعلى لسانها، لم يدرى أن قبولها للإهانات سابقا ذلك لأنها كانت مكبلة بسلاسل الظلم والقهر سلاسل الخبز تلك، أما الان وقد تحطمت تلك السلاسل الواحدة تلو الأخرى فهى لن تحتمل أى إهانة إطلاقا، ما لم يعتذر ... ولكن أى إعتذار هذا الذى يفكر فيه ذلك الرجل، إن الإعتذار لا يليق إلا بالأقوياء، بمن يقدرون على احتواء ضعف زوجاتهم، الإعتذارحقيقة هو ثقافة لا يستطيع أن يتعلمها الجميع، بل هى حكر على ذوى العقول الناضجة، إذن يا ترى وهى تتناول قهوتها فيما كانت تفكر ؟ أجل شرد ذهنها وهى تسأل نفسها سؤالا .... ماهى الحياة ؟ ما معنى الحياة بالنسبة لى ؟ للحظات، ران الصمت حتى قالت: الحياة بالنسبة لى، كأنّى

وسط حديقة كبيرة من الزهور، فهناك زهور تبدو رائعة المنظر جميلة الرائحة، وتلك هى المواقف التى تسعدنا وكذلك التجارب التى ننجح فى إجتيازها، وهنالك زهور أخرى رائعة المنظر ولكنها لا تبدو لى جميلة مثل الأولى، وهذه هى المواقف والتجارب التى تقسو علينا بين الحين والاخر، لا رائحة جميلة تجذبنا بين أوراقها ولكننا مصرون على أن نستمتع بشكلها، أجل .. مصرون على أن نستمتع بنتائجها وخبراتها لننطلق بها فى خضم الحياة فنزداد بها قوة وثباتا.. فكلما زادت مِحن الإنسان إزدادت معها قوته ... تنهدت أمل قليلا ثم أكملت .. وقد أسير بين زهور حديقتى فأجد فيها عددا ليس بقليل من الزهور التى ذبلت وانحنت سيقانها فلم تعد قادرة على حمل نفسها، لم تعد بداخلها حياة « لقد ماتت « ... وهى تلك النفس التى بداخلى التى تطاردنى بين الحين والاخر، لقد هرمت من كثرة الهموم وانحنت من شدة الالام، وذبلت أوراقها من كثرة إصابات الحياة، لقد تشوهت، نزفت بشدة حتى ما بقي بداخلها نبضا للحياة، تلك الزهرة أقطفها برفق ولا أنزعها بقسوة أبدا، لقد كانت جزءا من حديقتى « حياتى» يوما ما، وبرفق أواريها فى التراب إجلالا لها «

فيكفيها ما تحملته» وأقول لها: عزيزتى ..لابد أن أمضى لإكمال طريقى، ولكن كيف لى أن أحيا وأمضى فيه، وجزء منى منحنى الساق ذابل الأوراق؟ كيف لى أن أستمتع بما فى حديقة حياتى من الزهور الجميلة، وأنتى فيها ؟ أعلم أنك تحملت الكثير من ضربات الحياة الموجعة، ولكنى أود أن أخبرك أنه لولا تحملك هذا، وصبرك على كل هذا العناء ما حصدت أنا زرعى ولا نبت ثمارى ..... « وهكذا الحياة كانت تمثل بالنسبة إليها أكثر من معنى رقيق، وحقيقة إن المواقف الصعبة فى حياتنا هى التى تصنعنا جميعا، هى التى تشد من أزرنا وتعضد منا ... إن

نظرتها اختلفت تماما إلى كل شىء، بداية من ذاتها ثم مرورا بتفكيرها وعقلها، قامت من جلستها بعد أن أنهت قهوتها، ولكن استوقفها شىء، تمتمت قائلة، الحمد لله لم أعد أمة هذا الرجل الذى قهرنى لسنوات، الحمد لله أن كرمنى ربى وجعل لى الحق فى أن أعيش بحرية دون قهر أو ذل ... كان الكثير من أصدقائها يتعجبون من كلامها على صفحات التواصل الإجتماعى عن العبودية والذل من ناحية وعن الحرية والانسانية من ناحية أخرى، كانوا يقولون لها، لماذا تتحدثين بهذه اللغة ؟ ولكن لم يعلموا

أن من ذاق الحرية بعد القهر، من عاش إنسانيته بعد الذل والإهانة، قد تأتى عليه أوقات يكتب فيها كلمات بل وينطق بمعانى، لا يعلمها أحد سواه ولا يدركها غيره، أجل لقد كتبت فى مساء يوم ما على صفحات التواصل الإجتماعى بعض الكلمات، كانت تشعر أنه لن يفهمها أحد سواها هى. لقد كتبت...

« إن العبيد يمرون بعدة مراحل، البعض منهم تستوقفهم مرحلة فلا يعدونها، فى حين أن البعض الاخر يمرون بالمراحل كلها فلا تستوقفهم أى مرحلة حتى يبلغون نهايتها ويدخلون طورا اخر، وآخرون تستوقفهم مرحلة دون الاخرى، فقد تجد من لا يبرح مرحلة الرضا عن قوانين الإستعباد فيلزمه ذل صامت، وكل مايؤكد له صحيح مساره لاشىء سوى رؤيته لغيره من المستعبدين فينتابه شعور السكون النفسى ولزوم الرضا .. وغيرهم من تستوقفهم مرحلة الإستيقاظ فقد اجتازوا مرحلة الرضا لأنهم انتبهوا، انتبهوا لشىء كان يسكنهم ولايشعرون به، إنه الإنسانية، فتيقنوا أنهم ليسوا عبيدا لغير ربهم، ولكنهم لم يعدو هذه المرحلة ولو بشبرا واحدا، إنهم انتبهوا ولكن صمتوا، وآخرون لا تستوقفهم مرحلة

الإستيقاظ طويلا، بل ما لبثوا أن شعروا بحق إنسانيتهم وقيمة وجودهم حتى دخلوا طورا آخر، لقد علت أصواتهم وخرجوا من جحور الذل يطالبون بإنسانيتهم، ولكنهم فوجئوا بأعداء الإنسانية العتاة يهاجمونهم ... هنا إما أن ينتابهم شعور الندم أن أصواتهم قد علت، ولماذا يشذوا عن الاخرين ؟ وهؤلاء للأسف سيكونون أكثر ذلا وانكسارا وبؤسا من ذى قبل، أو أن لا ينتابهم أبدا شعور الندم ولو للحظة واحدة، بل علموا أن لكل شيء ثمن، وما أغلى الثمن الذى يدفعونه نظير كرامتهم وإنسانيتهم، هؤلاء فقط هم من وصلوا للطور الأخير لا يلوون على شيء أبدا، ولقد أحسن ربهم بهم إذ أخرجهم من السجن ،» سجن الذل للخبز والمال»

«ولقد مرت أمل بكل هذه المراحل فى حياتها ففى الماضى كانت فى مرحلة الرضا بعبودية الخبز» وكما كان يقال لها جميع النساء يخضعن لهذه العبودية من أجل أن تسير الحياة ..ولكن القراءة نقلتها إلى مرحلة أخرى هى مرحلة الإستيقاظ والإنتباه من غفلتها، أجل انتبهت إلى إنسانيتها وكرامتها، فإذا بها ستنتقل إلى مرحلة أخرى قريبا، سيعلو فيها صوتها على هذا السجّان الظالم ستطالبه بإنسانيتها

وعدم إهانتها وستتفكك قريبا جدا عنها كل سلاسل الذل والإهانة ستتحطم سلاسل عبوديةالخبز والمال. وحقيقة .. ما قيمة أن يطعم الإنسان منا جسده ويريحه وهو مذلول مقهور من أجل

لقمة العيش .. كل تلك المعانى ما كان يشعر بها أى أحد سواها. جلست على مكتبها المتواضع كادت أن تمسك كتابا فى التاريخ الإسلامى، ولكن لم تستطع أن توقف سيل أفكارها، شردت بذهنها ثانية فقامت تاركة مكتبها ووقفت تنظر إلى نفسها عبر مخيلة عقلها كان الماضى يجول أمامها كم كانت ترى نفسها مقهورة مذلولة لا شخصية لديها أينما وجهها غيرها توجهت وكأنّها أنسان آلى لا قيمة له، كانت تتعجب من ضعفها واستكانتها، وإذا بها تنطق بكلمات من الذهب، أجل لقد غيرت القراءة والتعلم والإضطلاع لا أقول شخصيتها فقط، بل حتى خيالها، رؤيتها للأشياء، كلماتها .. تمتمت بتلك الكلمات تحدث نفسها وهى تتابع أحداث حياتها الماضية عبر مخيلة

عقلها قائلة : ما الرغبة التى تكمن فى أن يسلم الإنسان منا مجاديف قارب حياته لغيره ؟ وما الذى يجعله آمنا مطمئنا وهويرى قاربه يسير به الآخرون فى خضم هذا

البحر الهائج من الأمواج ؟ لربما كان ينظر من حوله فيجد مثله أناسا كثيرون يركبون قواربهم، ولكنهم أسلموا مجاديفها لغيرهم، فهدأت لذلك نفسه وسكنت سكون العاجزين، بل ولربما استغرق فى سبات عميق فلم يوقظه البرد القارس ليلا ولا ضوء الشمس نهارا ولا حتى صوت الأمواج الهائجة، فلم يستيقظ إلا عند لحظة وقوف القارب، وهنا... يقف شاردا بنظراته يصيح منزعجا « ليست هذه الجهة التى أردتها لنفسى.

فإذا بصاحب المجاديف يرد عليه قائلا : ولكنها الجهة التى أردتها أنا، ثم نظر وراءه نحو البحر سائلا ثانية: ومتى قطع القارب بى كل هذه المسافات؟ رد عليه صاحب المجاديف .. وأنت نائم يا عزيزى، فاءذا به يجلس يبكى حتى أن صوت نحيبه يرتفع، وفى أثناء ذلك أنصت إلى نحيب الاخرين ممن تركوا مجاديف قواربهم لغيرهم، حتى وجدوا أنفسهم على جهة لم يريدونها يوما .. وهذه هى إرادة كل واحد منا، هى المجاديف التى نوجه بها قارب حياتنا أينما نريد، فكلما أمسكتها بقوة، ولم تجعل غيرك يتحكم فيها، صنعت من حياتك تلك التحفة الفنية الرائعة التى أردتها، وإن تركتها لغيرك سيوصلك إلى الجهة

التى يريدها هو، فلابد أن يتحسس كل إنسان منا إرادته، هل هى بين يديه أم سلبها منه الاخرون ؟ وليقف الإنسان منا للحظات فى حياته متسائلا : هل الوجهة التى عليها أنا الان هى ما أردته لنفسى أم أرادها لى الاخرون؟ ... اه لكلماتك التى نطقتى بها يا أمل كم هى موجعة ولكنها من ذهب، فكم منا الان سيجد نفسه على جهة لم يريدها هو وإنما أرادها له الاخرون ؟ لقد تحسست أمل أخيرا إرادتها، لقد أمسكت أخيرا بمجاديف قارب حياتها، لتسير به كما تريد لا كما يريد الاخرون، سوف يعلو شراع قاربها أخيرا بحرية لا يخالجها قهر أو ذل من أجل الخبز، فهى تعلم تماما مفهوم تلك الحرية .. «: فالحرية « هى أن لا تكون أمة إلا لرب

العالمين، لا تنكسر لسواه، ولا ترفع حاجتها إلا إليه، لقد شقت طريقها أخيرا لتعلن عن ثقة وعزم « لست أمة لأحد من الخلق» .

آه يا أمل صدقتى وربى، إن من عرف وعاش القهر والذل من أجل الخبز والمال حتما سيعلم قيمة الحرية ولن يتنازل عنها ... فالطائر مهما قدمت له من أفضل أنواع الطعام لكنه محبوس فى القفص، فلن يجد أبدا للطعام مذاقا لأنك

سلبت منه حريته.. إن مجرد الشعورو الإحساس بالكرامة والإنسانية يجعل كل واحد منا يحترم ذاته، ويقدرها ولا يهينها من أجل خبز أو مال، وما القيمة أن تموت روحك وحريتك وتغتال إنسانيتك بداخل جسد شبعان ؟

فنحن لسنا أجسادنا فقط، بل نحن أرواحنا أيضا وهذه الروح دون إحساسها بالكرامة والحرية ستموت حتما، وإن ماتت سيصير صاحبها مجرد عد فى قطيع أغنام يسيره صاحب القطيع كيفما يشاء، سيصبح مسخا من الاخرين المستعبدين، سيعيش ظلا ويموت كذلك، لن يشعر به أحد، لأنه لم يشعر بذاته يوما ...ما كل هذه الأحاسيس يا « أمل» كل هذا الفيضان من الكلمات والمشاعر الحرة كانت بداخلك، كانت ساكنة أعلم أنك كنت فى قبو ذلك الزوج الظالم، كلما هممت بالخروج منه هم هو بإدخالك فيه ثانية، لقد رفضت أمل أن تستسلم لعبودية الخبز والمال، رفضت الإستسلام لزوج لا يعرف أبدا قيمة المرأة ولا حقوقها التى شرعها الله لها، أبت أن تحميها قوانين السيد الظالم من أجل « لقمة» أو « مال» .. هى أيقنت أنها ستموت يوما، ولكنها أبت إلا أن تموت بكرامة، أجل ستموت إنسانة، سيتحدثون عنها يوما ما، سيقصون

حكايتها، أجل حكاية امرأة رفضت أن تستسلم لزوج ظالم، أبت أن تسير فى قطيع سائر النساء اللاتى يفضلن المال والخبز على كرامتهن، أبت أن تقيدها سلاسل العبودية من أجل فتات الخبز .. نعم ستواجه مِحن وصعاب، فالسير فى القطيع راحة للجسد فقط، أما السير فى خلاف طريقه مشقة للجسد وراحة للروح، أجل ستكون هناك مِحن وصعاب، ولكن كل أحد أراد أن تكون له قيمة لابد أن تقابله الصعاب فهى جسورا لحياة أخرى ذات قيمة وشرف، لقد خرجت من خندق الإستسلام للذل. لقد عاد السجّان من غربته بالخارج وجاء يطالبها بتقديم فروض الولاء والطاعة له، ولتلك القوانين التى كانت قد عاشت فى ظلها أكثر من عشر سنوات، عاد وهو لم يتغير منه شىء، ولكنها تغيرت تماما صارت إنسانة غير التى تركها ورحل، لقد طالبته بحقوقها وأن يعاملها كإنسانة وأن لا يهين كرامتها ولا يتعرض لها بالضرب أو حتى بالإهانة اللفظية. ولكنه نظر إليها برهة وهو صامتا وكأنّه يريد أن يقول منذ متى والعبيد يتكلمون؟ فما إن رفع يديه ليضربها على وجهها حتى فوجىء بقوة وصلابة يدها تمسك بيده، وهى تصرخ فيه، لقد رحلت

بل ماتت تلك الأمة التى كنت تقهرها بمالك وخبزك، ماتت منذ زمن، والتى أمامك الآن امرأة أخرى قوية لم تعد مقهورة ولا مذلولة لأجل لقمة العيش. نظر إليها فى صدمة لقد فاجئه كلامها. لقد خرجت من سجنه تنفض عن نفسها غبار الآلام السنين الماضية لقد بدأ صوتها يعلو أخيرا تطالب بكرامتها ، خرجت تصيح فى قوة وثبات ، لم تعتاد عليها كثير من النساء، دفعت أخيرا باب السجن بكل ما أوتيت من قوة ولم تكن قوة أمل التى دفعت بها باب السجن هى قوة جسدية لا بل دفعته وحطمت كل سلاسل العبودية والقهر بأفكارها وعقلها بقراءتها وتعلمها، بمعرفتها أننا لم نكن فى هذه الدنيا أبدا عبيدا لأحد إلا لله. فدفعت الباب بقوة لا يستطيع أحد أن يتغلب عليها إلا بمثلها، ولم يكن سجّانها كذلك، بل لو كان يفقه قليلا لكان انتبه منذ فترة بتمرد مسجونته فلربما حاول استدراك الأمور ولكن حين يصبح العمى فى البصيرة فلا تجادل صاحبه، وقف السجّان على الباب مندهشا كيف فعلت ذلك ؟ نعم يا ظالم، لقد فعلتها

حينما تركت لعقلى حرية التنقل بين الكتب، حين قوى إيمانى بالله وعلمت أنه هو الرزاق ذو القوة المتين، حين

علمت أننا خلقنا أحرارا فلا ننكسر إلا لله، لقد ولدت من جديد، والحمد لله، أجل الحمد لله أنك لم تشهد مخاض ولادتى، وإلا لكنت وأدتها من أول وهلة ..... لقد أصبحت لى القوة

التى رممت بها جدار حياتى، مملكتى وبنيت حولها أسوارا ضخمة ولكن أسوارى ليست من الطوب والطين والحجارة التى تؤسسون بها مبانيكم الواهية التى تتساقط متهدمة مع أول زلزال ينقض عليها، ولكن أسوارى بنيتها من قوة إيمانى بالله وعبوديتى له وحده، أسوارى من تلك القراءات والأفكار التى كانت بين ضفاف الكتب، هذه الأسوار لن يقدر أحد على إقتحامها حتى أن أموت، ربما هناك من يحاصرها، وتطيل فترة حصاره لها، ولكنه سيعود خائب الرجاء، أنا الان أجلس على عرش مملكتى التى لم أكن أدرك يوما أنها حقا لى فى هذه الحياة بل لم أكن أدرك يوما أن لى مملكة فى هذه الحياة لا غنى لى عنها، كنت أعتقد أنى أمة لهذا الرجل ولست ملكة انطلقت أمل من سجنها تهرول فى سعادة بالغة لقد تركت له سجنه أقصد بيته، لقد هم أن ينال منها بالضرب ..لقد كان مشهد خروجها من سجنه فى غاية الروعة، أخيرا سيعانق وجهها نسيم

الحياة لتعود نضرته إليه من جديد،
وابتسامته الغائبة عنه من سنين. أجل لقد أخذت أمل بعض الرمال من على الأرض وهى تبكى، أثناء خروجها وهرولتها عنه بعيدا ظلت تتأمل تلك الرمال وهى بهدوء تتسلل من بين أصابعها، فلم يبق منها شيئا إلا تلك الآثار على يديها .. تساقطت عبراتها من عينيها كانت قليلة ثم لم تستطع إخماد هذا الفيضان منها، تذكرت سنين عمرها كم تسللت هى أيضا من بين يديها وهى لا تشعر بها، لقد كانت تاركة لصفحات حياتها دون أن تكتب فيها سطرا، أطرقت برأسها برهة وهى تتساءل ماذا كنت أنتظر طيلة هذا
الوقت ؟ ولكنها نظرت حولها فرأت الكثير من حبات الرمال حولها، كأنّها تناديها، هيا خذى منى وابنى ما تريدين، إنتبهت لحظة.. أجل لقد تسللت منى سنين كثيرة من عمرى، ولكن مهما مضى منها سأبدأ الان، نعم الآن، سأقيم جدار حياتى قبل أن ينقض، سأتناول صفحاتى لأكتب فيها كلماتى وحروفى التى لطالما أهملت كتابتها سأجعل بداية صفحاتى من أجمل ما تكون، سأتناول ألوانى الجميلة لأرسم بها لوحاتى الرائعة، لن أجعل اليأس ينخر

فى عظام إرادتى وأحلامى، سأفتح نوافذ روحى لتستنشق هواء الأمل حتى لا تختنق فتموت كمدا سأجعل من تجاربى المؤلمة جسرا أعبر عليه إلى جهة أفضل لقد تركت سجن العبودية آخذة أبنائها بيديها تسرع خطاهم جميعا فى فرح وسعادة، صاحت فيهم لا تخافوا ولا تحزنوا، إن عشنا سنعيش بإنسانيتنا دون سجنه وخبزه وماله، وإن متنا سنموت بإنسانيتنا وكرامتنا .. لم نعد من الأن نسبح بحمده هو ولا نكسر أنفسنا من أجله ولا نذل إنسانيتنا لخبزه .... لقد خرجت من السجن وبعد أن ابتعدت عنه وقفت على بعد مسافة طويلة جدا، ثم جثت على ركبتيها، لقد أنهكها الجرى هى وأولادها طيلة هذا الوقت، أطرقت برأسها برهة من الوقت، ثم رفعت رأسها تنظر إلى السجن، قائلة : لقد نلت منى كثيرا من عمرى وشبابى وصحتى وأحلامى وطموحاتى، ولكنى نلت منك فى النهاية وكل ما فات سأستدركه قريبا، يكفينى أنى حطمت سلاسلك من عنقى وقدمى وذراعى، كسرت قضبانك الحديدية، فالحمد لله الذى قال « إن الله لا يغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم « فإن الله تعالى لم يغير مابى من قهر وذل إلا حينما غيرت نفسى وعقلى

فشعرت بذاتى وكرامتى، فكانت الجائزة أنى قد خرجت من هذا السجن المظلم الكئيب، فالعبرة ليست بقوة الضربات وإنما بمدى قوة إيمانك وثباتك عند تحملها، فكم من أناس استسلموا للضربات الأولى، فوهنت حياتهم وضاعت أحلامهم وأصبحت ذكرى ومازالوا يعيشون فى يأس صامت .... إن الصعاب لم تخلق لنبكى من أجلها ونهزم أمامها بل هى إختبارا لقوة إيماننا وشجاعتنا، هى أوسمة شرف فى حياتنا .. مهما كانت الصعاب التى ستواجهها أمل فى حياتها ستظل تلمع فى عينيها نظرة الإصرار ... الإصرار على أن تعيش إنسانة وتموت كذلك، سوف تعلم أبنائها درسا فى الحياة « وما أثمنه من درس وما أعظم الثمن المدفوع نظير تعلمه، ستعلمهم أن لا يكونوا أفرادا فى قطيع العبيد وأن الإنسانية لا توضع فى الميزان مع أى شىء، وإن كان خبزا أو مالا أو أى شىء ... لقد راح السجّان ينظر إليها متعجبا من حالها، لا يكاد يعرفها على الإطلاق .. أجل فالعلم والتعلم يغيران من شكل الإنسان نور العلم يجعل من مظهر الإنسان شخصا آخر، إن القراءة التى تجعلك قادرا على تحطيم سلاسل القهر والذل فهى قادرة على تغيير كل ملامحك وسماتك

بل وحتى نبرة صوتك، بل مجرد علمها بأنها إنسانة لها كرامة وحقوق كان كل ذلك جديرا أن يغير من شكلها وتركيبة عقلها وسلوكياتها وردود فعلها كافة، ظل يرمقها وهى تهرول من سجنه، حتى إن انتبه فصاح فيها ... عودى، إما أن تعودى لسجنى وقواعدى وشريعتى، وإما أن أتركك دون خبز ومال أنت وأولادك ..وفى ظل صراخه انتبهت إلى عويل

قطاع الطرق فى طريق حريتها يصرخون فيها ستموتين أنت وأولادك فعودى إليه وادخلى زنزانته وقيدي نفسك ثانية بسلاسل القهر والذل، واستغفرى سيدك وقولى لن أعود لمثلها أبدا. كانوا قطاع الطرق هؤلاء نساء فى عائلتها أقمن على عبودية الخبز والمال سنين طويلة، وعمها الذى يخشى عودتها لمنزله ولكنها لم تجد سبيلا إلا منزل أبيها وأمها لتلجأ إليه، لما سمعت صياحهم وأقوالهم .... وقفت تلتقط أنفاسها، فكم هى منهكة من سنين السجن الكئيب الظالم، وقالت لهم بثبات وقوة، ولو كان سجنه مملكة فلن أعود، وإذا كان سيقدم لى ألوان الطعام والشراب لن أعود .. إن الطير الحبيس تقدم إليه الطعام فى محبسه فى صحن صغير، والماء يوضع له فى إناء

ضئيل، فإن قرر أن يخرج من محبسه ليطير سيصبح لديه أنهارا كبيرة يشرب منها الماء بدلا من إناء صغير وحقول مليئة بأنواع شتى من الطعام بدلا من صحن صغير .. ستكبر جناحيه عما كانت بداخل المحبس، فلا بد له وأن يقرر ماذا يريد ؟..... وقف الجميع وقد ران الصمت بينهم للحظات وهم يستمعون إليها، لا يفهمونها، فالعبيد لا يفهمون لغة الأحرار ..... وقف الرجل، اقصد السجّان متعجبا من أين أتت بهذه القوة؟ كيف حطمت كل هذه الأغلال والسلاسل التى كانت ملفوفة بها ؟ من أين أتت بأن لها حقوقا

وكرامة ,وإنسانية ؟ ألجمته هذه المفاجئة فلم يعد قادرا على أن يصدقها أو أن يتحملها ... وبجانبه كان هناك سجانون كثيرون هم رجال بنفس طباعه السيئة وأفعاله الظالمة يقفون على وجل ينظرون إلى سجونهم فى قلق وفزع يملأ قلوبهم وكأنّ لسان حالهم يقول .. هل سيكون هناك غير تلك المرأة من تقدر على فك أغلالنا وقيود الخبز والمال؟ يخشون من أن تكون هناك « أمل» ثانية بداخل معاقلهم ولا يدرون، يخشون من أن تقوم امرأة تحطم قضبان السجن على حين غفلة من السجّان،

فانطلقوا يفتشون فى سجن «أمل» ما الذى كان السبب فى إنقلابها على السجّان، فما وجدوا غير كتبا « كتبا كثيرة وأقلاما وكراسات.. فراحوا فى جنون بتفتيش سائر السجون يحرقون الكتب، وكل ما يجعل النساء الاخريات لهن عقل ناضج، يحرقون فى خوف كل ما تتعرفن النساء من خلاله على حقوقهن ليظللن مقهورات ذليلات لهن سائر حياتهن ليظللن تحت غمامة عبودية الخبز والمال

. لقد كان الوأد فى الجاهلية القديمة لجسد المرأة، أما الآن فقد أصبح الوأد لفكرها وعقلها فلا يعلو لها صوت فإن علا صوتها قالوا لها إنه عورة، وما العوار إلا فى عقولهم وأفكارهم .. أرادوا من المرأة أن تظل ملفوفة بسلاسل الظلم وأن تكون سائرة فى قطيع من الأغنام فإن أرادت أن تخالف القطيع وأن لا يحكمها ذلك الياسق» شريعة التتار» الذى وضعوه هم لها وكذبوا عليها حين قالوا لها هذا شرع الله .. كذبتم والله إن ربى لا يرضى بظلم العباد، لقد حرم الله الظلم على نفسه، فكيف يرضى بأن يظلم الرجل امرأته وأن يقهرها وأن لا يعاملها بإنسانيتها وهو يعلم من داخل نفسه أنها لن تعترض من أجل الخبز والمال والعيال، فما كانت النتيجة إلا أن زاد عدد هؤلاء

الظالمين، وكل امرأة صنعت من ضعفها والرضى بالذل والقهر وإهانة كرامتها من أجل لقمة العيش فقد صنعت لنفسها طاغية يتحكم فيها وتعبده هى ولا تدرى بل وتسبح بحمده آناء الليل وأطراف النهار لعله يرضى عنها ويعطيها المزيد من الخبز والمال .....

obeikan.com

خاتمة

هذه قصة أمل قد انتهت ..... ولقد قصدت بتسميتها ذلك الإسم لكى أزرع بداخل كل امرأة مثلها نبته أمل فى حياتها، فإلى كل فتاة لم تتزوج حتى الآن، لا تتسرعى ركوب القطار أقصد قطار الزواج حتى تعطى لنفسك الفرصة الكافية أن تتأكدى من أن هذا الرجل هومن سترضين لنفسك أن تكملى معه حياتك المقبلة، أن يكون فعلا هو سند لك وقت ضعفك وانكسارك، أن يكون هو الحضن الدافىء الذى تسكبين بين ذراعيه كل عبراتك وهمومك، أن يكون هو البيت الذى ستسكنين فيه، فتجدى بين عينييه سكنك وراحتك، تمهلى عزيزتى قليلا فى اختيارك، وأنصحك بشىء آخر وهو أن لا تجلسى طيلة عمرك فى محطة قطار الزواج منتظرة قطار الزواج وخائفة أن يفوتك، لا أرجوكى، لابد أن تعيشى حياتك وأن تتعلمى وتواصلين تعلمك

كلما ارتقيت إلى درجة فى تعلمك إرتقى إلى أخرى، كلما ارتفعت فى سلم عملك درجات، ارتقى إلى غيرها، واعلمى أن الرجل الذى سيأتى وأنت تنتظرينه فى حالة من يأس وطول انتظار سيكون معبرا عن حالتك تلك، أما الرجل الذى سيأتى إن لم تنتظريه يائسة وغير قانطة من تأخيره، صدقينى سيكون شيئا آخر أفضل وأحسن، فالإنسان منا حين يكون يائسا ووصل إلى مرحلة القنوط لطول انتظاره شيء، سيختار أى شيء .. وستكون عاقبته خسارة كبيرة

إلى كل امرأة فى كل مكان، أنتى كائن عظيم جدا تتحملين الكثير من أجل الآخرين، أنتى إنسانة، كرمك الله وجعل لك حقوقا كما جعل عليك من الواجبات، عزيزتى المرأة ...لابد أن تعيدى اكتشاف ذاتك من جديد فلربما تكتشفين بداخلك هذه الكاتبة التى لم تكتب روايتها التى ينتظرها العالم من حولها حتى الآن، أو لربما تكتشفين بداخلك الشاعرة التى لم تكتب شعرها الرائع إلى الآن، أو لربما ستجدين بداخلك المخترعة التى لم تجهز ولم تكمل إختراعها إلى الآن، لربما تستكشفين بداخلك العالمة التى لم تخرج إلى الناس برسالتها لتعليمهم إلى الآن ... ستكتشفين الكثير سيدتى، فأنا مؤمنة أن بداخل كل امرأة قوة داخلية

عظيمة، لم تخرجها إلى الآن لابد عزيزتى أن تعتقدى تماما أن من حقك أن تتعلمى وأن تقرأى وأن توسعى مداركك فكل ذلك عبادة لله، لابد أن تدركى أن القراءة ستوسع من إدراكك وفهمك للحياة وستنزع من حولك كل سلاسل الظلم والقهر والإستعباد، ستجعلك تقفين أمام متاعب ومشاكل الحياة ثابتة قوية لديك إصرار كامل أن تكملى حياتك مهما واجهتك الصعوبات، أنت بداخلك قلب رقيق يحمل بداخله السعادة والحب بل والتضحية للآخرين، أنت قادرة بابتسامتك أن تدخلى الفرح والسعادة على كل من يحيطون بك، قادرة إن تعلمتى وقرأتى وثقفتى نفسك أن ترتفعين بنضج عقلك قبل أن ترتفعين بكعب حذاءك قادرة أن يشع نورك وعلمك حول من يحيطون بك، قادرة على أن تثقفين أمة بكاملها، أنت عزيزتى الأساس لكل بيت لكل أسرة لكل مدرسة لكل مكان تتواجدين فيه إن كان قويا سليما سيكون ما فوقه من بناء قوى وسليم لا ينهار أبدا ...

عزيزتى المرأة ...لابد أن تعتقدى بداخل نفسك أن من حقك أن تعيشين بكرامة وإنسانية ولا تستسلمين ابدا لظلم وقهر الآخرين حتى لو أرادوا هم أن تعتقدين ذلك

عزيزتى اعلمى أن كل منا طيلة وقته يمسك بهذه الألوان وتلك اللوحة أقصد لوحة حياته يرسم فيها كل ما يريده هو وبالألوان التى من اختياره، فمنا من يميل لتلك الألوان الداكنة فيرسم بها لوحته فتبدو فيها الكآبة والحزن بل وقلة الحيلة واليأس وانقطاع الأمل فتنطبع هذه اللوحة فى عقله ومخيلته بل وكل قرارات حياته تكون خارجة من إطار هذه اللوحة الداكنة، نعم إنها تصوراته، قناعاته الواهنة التى ارتضى بها، ولو التفت قليلا حولك لوجدت الألوان المبهجة بجانبك، فتناوليها سيدتى، وارسمى بها لوحة تبهرين بها الجميع بل وتطبع فى مخيلة عقلك أجمل الإنطباعات، بل وكل قراراتك التى ستخرج من إطارها ستكون أجمل وأعظم من الأولى .. إنها حياتك فلا ترسمين فيها إلا بأجمل الألوان وحتى لو اضطررتى إلى هذه الألوان الداكنة من لحظات الحزن والسقوط والهم، فاعلمى أنها أتت لتكونين اقوى من ذى قبل وأنها أتت لتمضى لا لتبقى وحينها ستمسحين هذا الخط الداكن وسترسمين بدلا منه آخر مبهجا